

# محمود البستاني بلاغياً

أطروحة تقدمها الطالب  
أحمد بطل وسيج الموسوي

إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور

طالب محمود نايف الشمري

نيسان  
م ٢٠١٢

جمادي الأول  
هـ ١٤٣٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الخاتمة

توصل الباحث إلى النتائج الآتية :

١- إن أهمية المعنى والسياق عند البستاني قد فاقت أهمية الصياغة والبناء وهذه الطريقة قد استخدمها عبد القاهر الجرجاني عندما استخرج قواعده من النصوص لذلك سمّي منهجه تحليلياً في حين كان منهج السكاكي تعقيدي.

وقد ظهر لنا منهج البستاني التحليلي في أكثر من موضع منها الصياغة في تقسيمات التشبيه إذ اعتمد المعنى والسياق من خلال ذكره لأنواع التشبيه ( الحقيقي والمجازي والمتداخل و المتكرر والمتفاوت و الامتدادي التفريعي و المضاد و المألوف و القصصي) . فمن خلال هذه الأقسام يمكن القول إن البستاني كان ينظر إلى النص نظرة موضوعية فنية أكثر من نظره إلى صياغة النص؛ لذلك أطلق تسميات التشبيه المتقدمة استناداً إلى المعنى والموضوع في تفاوته وتضاده وتفريعه وامتداده الخ .

وعناية البستاني في المعنى لم تقتصر على التشبيه بل وجدت ذلك في الكناية والاستعارة والمقابلة والمحسنات اللفظية والمعنوية وغيرها من المباحث التي تناولتها في أطروحتي .

فضلاً عما تقدم فإن البستاني قد اعتمد الصياغة في بعض الأحيان بدل المعنى وهذا ما لحظته في بعض المباحث منها التمثيل إلا ان البستاني قد ابتعد عن الصواب في مبحث التمثيل ؛ لان التمثيل قد يكون بأداة أو بلا أداة بينما حصره البستاني بعدم وجود الاداة ،فضلاً عن ذلك فإن البستاني قد أدرك مفهوم التمثيل في قيامه على انتزاع الصورة من متعدد.

٢- ذكر البستاني معاني متعددة وعدّها فنوناً ومنها (الاستدلال والمبالغة والاحالة والفرضية والتجوز والتسامح) .

واستنتج الباحث ان هذا الخلط نابع من نظرة البستاني المهمة بمعنى النصوص أكثر من الفنون ففي الاستدلال قلت ان هذا الموضوع يصطلح

بمصطلحات فلسفية محضة على قضايا بلاغية ليس بها حاجة الى ذلك ولا تشكو من غياب المصطلح .

فضلاً عن ان البستاني يؤسس مقالته عن الاستدلال بوصفها مقياساً على منتميات سياقية محددة ، وأراه يخلط المعاني التي يخرج اليها الفن البلاغي بالاصل بوصفه إجراءً متجذراً في دائرة البلاغة وهذا يبيح أن يصبح كل معنى أو دلالة أو غرض فناً قائماً مستقلاً.

فضلاً عن ذلك فإن هذه المعاني غير ثابتة عند البستاني فاحياناً يقول على صورة بأنها (استدلالاً أم مبالغة أم فرضية) وهذا أمر طبيعي إذ المعنى غالباً ما يشترك مع غيره هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن البستاني يعرض المبالغة والاحالة كل واحد منهما على حدة في ( القواعد البلاغية) ويعرضهما معاً في (الاسلام والادب) بينما اكتفى بذكر الاستدلال والفرضية من هذه الموضوعات في (ادب الشريعة الاسلامية) وهذا يعكس كما قلنا ذكره لهذه المعاني التي عدّها فناً فالمعاني يمكن ان تكون في كل فن ؛ لذلك نراه يجمع المعاني حيناً ويفرقها حيناً آخر ويكررها حيناً آخر .

فضلاً عن ذلك فإن محاولة البستاني في عد المعاني فناً قديمة قد ذكرها الباقلاني في مبحث المعاني بوصفها فناً .

٣- اعتمد البستاني في منهجه البلاغي المنهج المتكامل الذي يجمع بين القديم والحديث فضلاً عن صفته الاسلامية .

وقد وجدنا صفة منهجه الاسلامية قائمة من اعتماده على تحليل النصوص لا على القواعد في أغلب الاحيان ولاسيما النصوص الشرعية فهو يقدم الفكرة الاسلامية المستنبطة من النص قبل ان يفكر بطريقة صياغتها.

فضلاً عن ذلك فإنني وجدت هذا الملمح موجود في اكثر من مبحث وعلى سبيل المثال في مبحث الكناية وجدت البستاني قد اعتمد المنهج الاسلامي بشكل واضح إذ انه لم يبيّن ويذكر جواز ارادة المعنى الحقيقي بالرمز وهذا ما ذكره البلاغيون الا انه عندما جاء الى الرموز الخاصة بالله سبحانه وتعالى سمّاها صفات خاصة يمتنع ارادة المعنى الحقيقي فيها وهذا المنهج لم يقتصر على

تنظيراته للكناية بل وجدنا ذلك في تحليلاته إذ رجّح في أحد التحليلات الرمز على الاستعارة لانه يرى مجرد التفكير في خلع الصفات الجسمانية على الله تدخلنا في التجسيم لذلك رجح الرمز الخاص الذي لا يمكن ان يتحقق .

فضلاً عن ذلك فقد وجدت هذا الملمح في أغلب المباحث ومنها التشبيه والاستعارة والفنون الاخرى وعلم البديع وغيرها .

٤- إن البستاني في الوقت الذي كان فيه صاحب منهج اسلامي كان كذلك صاحب منهج حديث وقديم في البلاغة

فمن خلال عرضي لمباحث البلاغة عنده كانت غير بعيدة بشكل ملحوظ عن القديم الا انه كان ينتقد بعض الامور التي اشرنا اليها في هذه الاطروحة فضلاً عن كون البستاني لم يكن مغالياً في الحداثة فقد كان يجمع بين القديم والحديث فضلاً عن هيمنة المنهج الاسلامي عليهما.

٥- للبستاني مظاهر متعددة في الحداثة والتجديد ففي التجديد أدخل الاجناس الادبية وبعض القضايا النقدية في البلاغة ضمن العناصر الثمانية التي ذكرها، وهذا الادخال ليس البستاني من جاء به اولاً بل قد وجدت أمين خولي و أحمد الشايب قد جاء ببعض مظاهر التجديد .

ومن مظاهر الحداثة عنده سعة نظره للمباحث وادخال بعضها ضمن لغة الانزياح الحديثة .

فضلاً عن ذلك فإن البستاني يعطي اولوية لاثر النص في المتلقي وهذا ما وجدناه في اكثر من مبحث ولم يكتفِ بهذا بل يذكر أثر تبادل الحواس في المتلقي وهذا ما اشرنا اليه في اكثر من مبحث ولاسيما الاستعارة والكناية والمحسنات اللفظية .

٦- المصطلح عند البستاني فيه شيء من عدم التحديد وهذا ما لحظته في اكثر من مبحث .

فعلى سبيل المثال في الكناية وجدت البستاني قد استخدم مصطلح الرمز بدل الكناية كون هذا المصطلح حديث وله سعة في الدراسات الادبية المعاصرة وهذا جلي في مفهوم الرمز عنده هذا من جانب ومن جانب آخر فإنه لم يذكر

تقسيمات الكناية من حيث الوسائط إذ ذكر وجود الوسائط أو عدم وجودها في الصياغة المباشرة وغير المباشرة فقط إذ لم يذكر الرمز كجزء من الكناية؛ لان الرمز عنده أوسع من الكناية .

فضلاً عن ذلك فإن البستاني في مبحث التقديم والتأخير قد رفض الاعتراف بتعدد الاسباب في التقديم والتأخير وقدّم سبباً واحداً وهو الاهمية فقط لانه كان ينظر الى المعاني الموجودة في ذهن المنشيء فهو يرى ما يُقدم وما لا يُقدم فضلاً عن كونه رفض التعدد؛ لانه يدخل البلاغة في فوضى .

ولم يقتصر عدم التحديد على المبحثين السابقين بل في عدّة مباحث اشرنا اليها في هذه الدراسة ومنها ( الاستدلال والمبالغة والاحالة والفرضية والمقابلة).

٧- يتمتع البستاني بفكر دقيق ومتربط ، فقد وجدته دقيقاً في أكثر من أمر وعلى سبيل المثال عرضه للافكار في مبحث الاجمال والتفصيل إذ ذكر عدّة امور مهمة اشرنا اليها منها علاقة الايجاز والاطناب بالاجمال والتفصيل والفرق الدقيق بينهما، وكذلك ذكر العلاقة بين الايجاز والاطناب والحذف والذكر الا انه لم يبين الفرق الدقيق بينهما، وقد رجحنا عدم ذكره بوضوح الفرق بين الاثنين لان الايجاز حذف ما لا فائدة به والاطناب ذكر ماله فائدة .

فضلاً عن ذلك فإن فكر البستاني المترابط وجدته متمثلاً في أكثر من مبحث وعلى سبيل المثال التوكيد والتكرار إذ وجدنا البستاني يذكر بيان التوكيد يعتمد على التكرار والتوكيد ضمنه فنون بلاغية متنوعة، هذا من جانب ومن جانب آخر اتسم منهجه بعدم الحصر اذ انه عندما قال التوكيد ضمنه فنون بلاغية (كالتكرار والتقديم والحصر) انهى عبارته بـ( الخ) وكأنه لم يرغب عن باله بعض المباحث البسيطة التي لم يذكرها كالاطناب بالتكرير .

٨- هنالك بعض الاراء قد قالها البستاني في تقسيمات مباحث علوم البلاغة كان في بعضها مصيباً وفي البعض الاخر بعيد عن الصواب.

ففي التكرار وجدت البستاني قد ذكر تفصيلات التكرار وكان يميل نحو عدّه من موضوعات علم المعاني وليس علم البيان وقد كان مصيباً في ذلك فعلم المعاني قائم على علاقة الالفاظ بالمعاني وتوخي معاني النظم كما قال عبد

القاهر الجرجاني فالتكرار بعيد كل البعد عن البيان؛ لان البيان يتمثل في ابراز المعنى الواحد في صور متعددة اما التكرار فإنه يؤكد المعنى ويقويه بواسطة الالفاظ.

ويرى الباحث ان رأي البستاني المذكور يبيّن عن مدى فهم البستاني لعلاقة النصوص مع بعضها من أجل السياق العام وان كانت هذه النصوص مأخوذة من نصوص سابقة؛ لان ذلك يؤثر في المتلقي من أجل فهم المراد من خلال التعالق النصي، وهذا ليس غريباً عن منهج البستاني فهو غالباً ما يدعو الى وحدة الفكرة وأثر السياق كما أشرنا اليها في جوانب عديدة في هذا البحث .

في ختام المحسنات المعنوية أقول ان البستاني قد ساير البلاغيين في مفهومات التضمن والتورية والمقابلة، هذا من جانب ومن جانب آخر فإنه قد وضع التضمن والتورية ضمن علم البيان وهذا ما لم يقره البلاغيون ورجحت انه كان مصيباً في عدّه للتورية ضمن علم البيان لقربها من الكناية إذ انها تشترك مع الكناية في قصد المعنى البعيد غير المتبادر أولاً الا انه ونتيجة لخلطه التورية مع التضمن قد أخطأ في عد التضمن ضمن علم البيان.

اما ذكره للمقابلة ضمن العنصر المعنوي فإنه نابع من نظرتة للمعنى أولاً وقد رجحت صواب رأيه لان المحسنات المعنوية سميت بهذا الاسلام لقربها من المعنى .

٩- لم يذكر البستاني بعض الموضوعات الا ان هذا لايعني عدم ادراكه فلم يذكر الجمع بين الاطناب والتكرار من أجل التوكيد والذي سمّي بالبلاغة ب(اطناب التكرير)

وهذا لا يعني عدم اعتراف فهو قال في القواعد البلاغية " التوكيد قاعدة بلاغية عامة، تندرج ضمنها قواعد ومبادئ بلاغية ثانوية متنوعة مثل التكرار والتقديم والقصر وألخ " فهو قال : الخ وترك الأمر لغاية لديه ويسوغ هذا أنه انتقى ما نضجت لديه الفكرة بشأنه بوصفه أنموذج الدرس .

فضلاً عن عدم ذكره لمبثي التعريف والتكبير والفصل والوصل ورجحت ان  
يكون هذين المبحثين هما من اصول النصوص فهو درس البلاغة على اساس  
النصوص ولم يقدم البلاغة للنصوص .